

صحفي فلسطيني شاهد على المجزرة بغزة: ستكون كل ليلة هي الأخيرة سواء هربنا أو بقينا

الأربعاء 25 أكتوبر 2023 06:40 م

استعرض الصحفي الفلسطيني المقيم في غزة "أحمد درملي" في مقال لموقع "ميدل إيست آي"، أهوال محاولات الإبادة الجماعية التي تمارسها قوات الاحتلال الإسرائيلية في غزة. ويبدأ "درملي" بوصف ليلة من ليالي القصف حيث "الظلام الدامس وصوت الطائرات المقاتلة التي تمطر الصواريخ". ويقول "درملي": "مر الأصدقاء والأقارب الذين فقدتهم على أفكارى المتشابكة - تسعة على الأقل حتى الآن - وما إذا كنت سأتمكن من البقاء على قيد الحياة طوال الليل". ويوضح: "علمني العيش في قطاع غزة المحاصر منذ 27 عامًا والنجاة من خمس هجمات إسرائيلية على غزة ما يجب أن أفعله في أوقات الحرب إنه نمط يستمر في تكرار نفسه بعد انفجار القنبلة الأولى، نسرع إلى أقرب سوبر ماركت لتخزين الأطعمة الغنية بالكربوهيدرات، والتي يمكن أن تساعدنا على البقاء أقوى لفترة أطول ونودع أحبائنا، مدركين أن حياتنا تعتمد على مسار الصاروخ التالي". ويتابع: "في حالة الإخلاء السريع، نضع المستندات المهمة والنقود في حقيبة الطوارئ، ونترك ذكرياتنا العزيزة في المنزل نتجمع معًا في غرفتنا الرئيسية حتى يتم العثور علينا جميعًا معًا إذا تم قصف المنزل والدرس الأهم هو عدم الثقة بالليل أبدًا وهو الوقت الذي ترتكب فيه إسرائيل أفظع فظائعها". منذ أن أعلنت إسرائيل الحرب على غزة ردًا على هجوم مفاجئ شنته المقاومة في 7 أكتوبر، مرت 10 أيام من القصف المكثف المتواصل على جميع أنحاء المنطقة المحاصرة - ويزداد الوضع سوءًا يوماً بعد يوم، حيث لا يوجد أحد ولا مكان آمن.

مذبحة مروعة

وارتكبت الطائرات الحربية الإسرائيلية يوم الثلاثاء مجزرة مروعة باستهدافها المستشفى الأهلي الذي كان حينها مكتظًا بالمرضى الذين أصيبوا بالفعل ونزحوا من منازلهم بسبب الغارات الجوية الإسرائيلية المكثفة المستمرة. وقد لجأ الكثيرون إلى المستشفى باعتباره ملاذًا لهم، متوقعين أن يكون محظوظًا أمام الضربات العسكرية وتشير التقديرات الأولية إلى حصيلة مذبحة، حيث بلغ عدد الضحايا أكثر من 500 شخص، معظمهم من النساء والأطفال وتمثل هذه الجريمة رقمًا قياسيًا في تاريخ المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني. ويبدو أن إسرائيل عازمة من خلال هذه المجزرة المروعة على إثارة الخوف بين الفلسطينيين في مدينة غزة ومناطقها الشمالية ورأى "درملي" أن الهدف هو إجبارهم على الفرار نحو الجنوب وقد تم نشر هذه الرواية من خلال وسائل الإعلام الحكومية الإسرائيلية منذ بداية الأعمال العدائية الحالية ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الجهود، لا يزال هناك تصميم واضح بين الشعب الفلسطيني في السياق التاريخي، لا يمكن للمرء أن يتجاهل نمط استخدام التكتيكات الوحشية كوسيلة لبث الخوف والتهجير القسري، وهي استراتيجية متأصلة بعمق في الإطار الاستعماري الصهيوني وكانت أحداث عام 1948، التي تميزت بعدة مجازر مروعة مثل مذبحة دير ياسين، بمثابة جهود واضحة لإثارة الرعب في صفوف الفلسطينيين وحثهم على ترك مدنهم وتسلط هذه الخلفية الضوء على مجزرة المستشفى الأهلي في ضوء مألوف، مرددة مشاعر من الفكر الصهيوني التاريخي إن ما يغذي جرأة إسرائيل على تنفيذ هجمات الإبادة الجماعية هذه هو شعورها الذي لا يتزعزع بالإفلات من العقاب و"الدعم غير المشروط" من الولايات المتحدة.

التواطؤ الغربي

وعبر "درملي" عن شعور الفلسطينيين بالإقصاء؛ حيث أعربت الدول الغربية عن دعمها غير المشروط لإسرائيل، كما تخلت عنهم الدول العربية التي تحولت إلى مجرد أقلية نفطية. وعلى الرغم من ذلك، فإن إسرائيل تخشى أن تؤدي الأدلة على جرائمها إلى سحق دعايتها، بنفس الطريقة التي تدمر بها صواريخها منازل غزة. ومن بين آلاف المدنيين الذين قتلوا أو جرحوا في الغارات الجوية الإسرائيلية، توفي 11 صحفيًا كما استهدفت القوات الجوية الإسرائيلية البنية التحتية للاتصالات والإنترنت في جميع أنحاء غزة، مما منعنا من تبادل المعلومات حول المذابح المستمرة. أما الباقي فيتم التعامل معه بتواطؤ الغرب وتقوم منصات التواصل الاجتماعي بإزالة المحتوى الفلسطيني وطرد "ستيف بيل" رسام الكاريكاتير في صحيفة "الجارديان" بسبب رسم لرئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو". وقد تم قمع الاحتجاجات الداعمة للشعب الفلسطيني بعنف. وألغى حفل توزيع جائزة أدبية للكاتبة الفلسطينية "عدنية شبلي" في معرض فرانكفورت للكتاب وفي فرنسا، اعتقلت الناشطة الفلسطينية "مريم أبو دقة" بأمر من وزارة الداخلية. وقال "درملي": "في ستة أيام فقط، أسقطت حوالي 6 آلاف قنبلة على غزة، وهي نفس الكمية تقريبًا التي استخدمت في أفغانستان طوال عام 2019. وقد قُتل أكثر من 3500 فلسطيني وجرح أكثر من 12 ألفًا آخرين في غزة، بما في ذلك العشرات من الأطباء والعاملين في المجال الطبي وتجاوز عدد القتلى في غزة خلال الأيام العشرة الماضية إجمالي عدد القتلى خلال الحرب التي استمرت 51 يومًا في عام 2014. ويُعتقد أن مئات آخرين من الأشخاص محاصرون تحت الأنقاض وقد تم القضاء على عشرات العائلات بأكملها وتدمير آلاف الوحدات السكنية". وقد نزح ما يقرب من نصف سكان غزة، ولجأ العديد منهم إلى مدارس أو مستشفيات الأونروا - التي استهدفتها القنابل الإسرائيلية.

الفرار إلى لا مكان

بعد أن أمرت إسرائيل 1.1 مليون شخص في شمال غزة، بما في ذلك عائلة "درملي"، بالانتقال إلى الجنوب، ظهرت مجموعتان من الأشخاص: فر الأشخاص الأكثر يأساً سيراً على الأقدام أو في مركبات مؤقتة، ولم يكن معهم سوى القليل من الأحمال وليس لديهم

أدنى فكرة عن المكان الذي يتجهون إليه واختار كثيرون آخرون البقاء في أماكنهم، مرددين الشعار "إذا عشنا أو متنا، فسيكون ذلك في منازلنا".

ففي نهاية المطاف، هناك سوابق، وكانت جدة درملي "شريفة" تحكي له قصصًا عن النكبة لم يستطع أن يتخيل ذلك حقًا - ولكنه الآن يشعر وكأنه يعيشه، وقال: "أذكر أنها أخبرتني أن أفراد عائلتها أخذوا معهم ما يكفي من الملابس لمدة يومين عندما غادروا وطنهم، على أمل العودة قريبًا وبعد مرور خمسة وسبعين عاماً، لا تزال تنتظر".

ويضيف "درملي": "توسل إلي صديقي "وسيم" أن أغادر، معتقداً أن الوضع سيكون أكثر أمناً في جنوب غزة، لكنني اخترت البقاء وبعد وقت قصير من مغادرته، قصفت القوات الإسرائيلية المدنيين على الطريق الذي حددته كطريق خروج آمن، مما أسفر عن مقتل 70 شخصاً على الأقل وبالكد تمكنت من الاتصال بصديقي بسبب ضعف اتصال الهاتف، وعندما فعلت ذلك، بدا صوته مرعوباً، لكنه على الأقل كان لا يزال على قيد الحياة قال لي: "لقد كان الأمر أمام وجهي مباشرة" لقد كانت شاحنة بناء مكتظة بالناس أمهات يحملن أطفالهن، كلهم قتلوا في الشارع كلهم كانوا أناس مسالمين لقد كانوا يفرون".

تدمير الأحلام

لا يعتقد "درملي" أنهم سينجون من الحرب في هذه المرحلة؛ حيث شهدوا عشرات الغارات الجوية الإسرائيلية في دير البلح وخان يونس ورفح ومناطق أخرى في الجنوب عندما طلبت إسرائيل من السكان الانتقال إلى أماكن أخرى

ويوضح: "نحن مذبنون لأننا كنا نأمل، بل واعتقدنا للحظة، أننا نستحق حياة طيبة، حياة هادئة - أو على الأقل حياة طبيعية خالية من القنابل المستمرة والخوف والخسارة وتم الأيام بألم من عدم معرفة آخر الأخبار، لأنه ليس لدينا كهرباء أو إنترنت ويشتد هذا العذاب في اللحظات الوجيزة التي تعود فيها الإشارة".

يوم السبت الماضي، تلقى "درملي" رسالة عبر الواتساب من ابن عم صديقه في الولايات المتحدة، يقول: "يؤسفني أن أخبرك، لكن "يوسف" قُتل مع 14 من عائلته في غارة جوية إسرائيلية على منزلهم".

"يوسف" من أقرب أصدقاء "درملي"، حيث شاركه الضحك والوجبات والأحلام بمستقبل مشرق وكان يحدثه دائماً عن مدى شوقه لزيارة موطن جده في فلسطين المحتلة

وختم "درملي": "بقلب مكسور، أرى أن اللون أصبح أسوداً مرة أخرى لا أسمع سوى طائرات تحلق على ارتفاع منخفض تمطر الصواريخ على مقربة مني، وأتساءل كم من "يوسف" سيقتل قبل أن يوقف الإسرائيليون هذه المذبحة أمام أعين العالم".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/israel-palestine-war-gaza-we-never-trust-night>